

المحاضرة الثامنة الحضارة الهندية، تاريخ الهند، تراث الهند

الموقع الجغرافي

تقع الهند جنوب قارة آسيا، تحدها من الشمال جبال الهمالايا وهضبة التبت، ومن الشرق الهند الصينية وخليج البنغال أكبر خلجان آسيا، ومن الجنوب المحيط الهندي وجزيرة سيلان (سرنديب) التي تم نفي محمد سامي البارودي إليها زمن الاستعمار الإنجليزي لمصر، ومن الغرب بحر العرب وإيران وأفغانستان.

تتمتع الهند بموقع جغرافي ممتاز لكونها تتوسط جنوب آسيا الأمر الذي يسهل عليها الاتصال بغرب وشرق القارة كما تساعدها المياه على الاتصال بالعالم الخارجي.

تاريخ الشعب الهندي

هاجرت العناصر الآرية* والفارسية إلى الهند في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد و ضغطوا على الديرافيديين وهم السكان الأصليون للهند ودفعوهم نحو الجنوب، وتمركزوا هم في السهول الشماليه وأسسوا بها العديد من الممالك. وحاولت كل مملكة أن تتوسع على حساب جيرانها الأمر الذي أدى إلى قيام عدة حروب كان لها الأثر الكبير في ظهور الأبطال والأساطير البطولية.

ومن أشهر هذه الممالك مملكة (راكوكتا) وكانت تشمل جزءا كبيرا من الهند مع أفغانستان وقد استمرت هذه المملكة حوالي 137 سنة (أي من سنة 322 ق م إلى سنة 185 ق م)، وأشهر ملوكها هو (أصوكا) الذي اشتهر بالإصلاحات العظيمة كبناء المستشفيات والحدائق العامة والمؤسسات الثقافية وتطوير الطب بتخصيص مزارع للعقاقير الطبية ونشر التعليم والتبشير بالبوذية خارج الهند. وبعد وفاته تمت السيطرة للبرهمانية والهندوسية في الهند إلى غاية الفتح الإسلامي حيث اعتنق قسم كبير منهم الدين الإسلامي.

* - الآريون Aryans تسمية أطلقت في القرن التاسع عشر على مجموعة من الشعوب الناطقة باللغات الهندية - الأوربية، اعتماداً على وجود قرابة بين تلك اللغات. ولكن المصطلح (آري) Aryan يستخدم اليوم للدلالة خاصة على الفرع الشرقي، أي الهندي - الإيراني من أسرة اللغات الهندية - الأوربية، وبالتالي فهو مصطلح لغوي بالدرجة الأولى، ويعود أصل هذه الكلمة إلى اللفظة السنسكريتية arya التي تعني: النبلاء.

نشأة الحضارة الهندية

تدل الحفريات الأثرية التي أجريت في مناطق مختلفة من الهند على أصالة هذه الحضارة التي اتضحت معالمها بصورة جلية في الألف الثالث قبل الميلاد وقامت على ضفاف نهر السند وضافه وروافده لذلك يعرفها البعض بحضارة السند، وعلى نهر الغانج وروافده، وعلى. ومن أسباب ظهورها وفرة المياه وملاءمة المناخ والتربة الخصبة ووفرة اليد العاملة.

لقد سكن الهند قبل هجرة الآريين إليها " الدرافيديون Dravidians " ثم جاءها الآريون من الشمال والشمال الغربي بين 2000 و 1500 ق. م.، واحتلوا سهل الغانج، ويقال أن موطنهم الأصلي أواسط آسية شمالي بحر قزوين ومنهم من هاجر جنوباً، ومنهم من دخل أوروبا فهم شعوب هندو-أوربية.

حضارة الهند القديمة في عصر الفيدا: (2000-1000 ق م)

أقدم العصور الحضارية للآريين في الهند هي عصر الفيدا Vida: والفيدا مجموعة أغنيات استقيت منها المعلومات عن الهنود الآريين، وهي أقدم أثر أدبي في أية لغة هندية-أوربية في الشرق والغرب.

والفيدا تعني المعرفة، وكانوا يعيشون في هذه الفترة على الزراعة ورعي المواشي، ولهم إله خاص للأرض المحروثة، ويستخدمون البقرة دون أن ينزلوها من أنفسهم منزلة التقديس.

وأهم أسس الحياة الاجتماعية في الهند نظام الطبقات وهي:

- 1- الكهنة أو البراهمة: ويعتقدون أنهم خلقوا من رأس براهيم، أو من فمه.
- 2 - المحاربون: وخلقوا من كتفي براهيم ويديه.
- 3-المزارعون والتجار وأصحاب الحرف: وخلقوا من فخذي براهيم.
- 4-الخدم: وخلقوا من قدمي براهيم.
- 5--المنبوذون ولا ينتسبون إلى طبقة معينة: وهم نحو أربعين درجة.

مظاهر الحضارة الهندية

1- الديانة

أما الديانة فكانت قائمة علي عبادة قوى الطبيعة، ولما كان وصول الآريين إلي الهند عن طريق آسية الصغرى، وهضبة إيران، فلا بد أنهم تأثروا بحضارة البلاد التي مروا فيها، ومنها بلاد

ما بين النهرين، كما عبد الهنود بعض الحيوانات مثل الأفاعي والثيران، كما عبدوا بعض المظاهر الطبيعية مثل الجو. ويسمى إله الجو (قارونا) وإله النار (أجيني) وإله الصواعق (أندار) وإله الشمس (فشنو) وقد أدت الحركة الفكرية التي قادها الفلاسفة الهنود إلى ظهور الحركات الدينية الآتية:

1- الجينية: ومؤسسها (مهاقيرا) القرن الخامس ق م، ويدعو مذهبه الجينية على تقديس قديسي العصور الماضية.

2- البراهمانية: وتقوم هذه العقيدة على ثلاثة أركان أو ثالوث: الإله المقدس، الإله الأعلى، البراهمان وهو الخالق المتصف بالمعرفة والحكمة.

3- البوذية: أسسها (غوتاما) ابن أحد أمراء الهند وقد ساعده مركزه الاجتماعي على أن يطلع على حياة الأغنياء وقارن بينها وبين حياة الفقراء المحرومين، وفكر في أتباع حياة التقشف ودفعه هذا إلى ترك أهله والبحث عن الحقيقة والحكمة. وأخذ ينتقل من قرية إلى أخرى والتف حوله الأنصار يعلمهم أصول فلسفته، القائمة على ضبط النفس والقول بمبدأ العقاب.

1- العلوم

عرفت الهند الطب والرياضيات، وازدهر الفلك بين القرنين الثالث والرابع الميلاديين، متأثراً بالفلك البابلي. ابتكر الهنود الأرقام التسعة والنظام العشري. وكان العالم العربي (الخوارزمي ت-328هـ). هو أقدم من كتب الحساب بالأرقام الهندية وللهنود فضل على المثلثات.

أما في مجال الفلسفة فقد ازدهرت الحضارة الهندية بهذا، وأن الغاية من المعرفة ومن الفلسفة، ليست السيطرة على العالم بقدر ما هي الخلاص منه، وأن هدف الفكر هو التماس الحرية.

وإذا كان علماء الغرب ومؤرخوه يجعلون اليونان معجزة الحضارات القديمة، وهذا خطأ جسيم، فإن الحضارة اليونانية اقتبست الكثير من حضارات الشرق، المصرية، والبابلية، والفينيقية.

أدب الهند القديمة غني ومتنوع، " وفي القرن الأول بعد الميلاد كتبوا بالسكريتية، لغة أدب الهند متعددة الشعوب مهاراتا و رامايانا، قصائد ملحمية تقص مآثر الأبطال وتتضمن العديد من الخرافات القديمة جدا، تستلهم شعراء وفناني الأجيال السابقة. ومنذ زمن قديم أو بعدئذ ربما أدركوا ودبجوا لأول مرة قوانين أشهرها ذلك المسمى قانون (مانو)¹.

¹ - ف. دياكوف و س. كوفاليف، الحضارات القديمة، ج1، تر: نسيم واكيم اليازجي ص221.

2- الأدب الهندي: أول ما ظهر من الأدب الهندي نصوص مرتبطة بشؤون العقيدة الدينية، كانت في معظمها شفوية، منتقلة سماعاً من جيل لآخر. ونجم عن هذا النمط من الأدب الغارق في القدم والدينيات ضياع اسم المؤلف أو المؤلفين. وهذا ما ينطلق على (الفيدا) أي أقدم النصوص التي بلغتنا من الأدب الهندي، فهي سلسلة مصنفات يرقى أولها إلى ما يقارب عام ألفين ق.م. وأحدثها لا يتأخر عن القرن الخامس ق.م.¹

وتمثلت المرحلة الثانية من الأدب الهندي المكتوب بالسسكريتية الكلاسيكية في مجموعات دينية أخرى، لاسيما (البراهمانا) التي اقتصر الغاية منها على شرح نصوص (الفيدا) أو رواية عدد من الأساطير أهمها اسطورة الطوفان، ن ص

وفي القرن السادس ق.م بدأ وضع الملحمتين الكبيرتين (المهابهارتا) و (الرامايانا) وهما بمثابة الإلياذة والأوديسة عند اليونان. ثم لحقت بهما نصوص دينية في تمجيد الآلهة².

وفي القرن الثاني ق.م أخذت اللغة السنسكريتية تعالج موضوعات دنيوية إلى جانب التصاقها العضوي بالعقيدة الدينية وشؤونها، وقويت هذه الظاهرة الجديدة خلال القرن الرابع بعد الميلاد في عصر ملوك (غوبا)* الذين امتد نفوذهم على إمبراطورية شاسعة الأبعاد وشجعوا في الوقت ذاته النشاط الفني والأدبي³.

¹ - ينظر : جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ص 581.

² - جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ص 583.

* - عائلة غويا، عائلة من ملك الهند القديمة كانت تنتمي لطبقة البراهمة.

³ - جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ص 582.